

عقوبة، ويكفي صاحبه امتها ناً فلنقل جميعاً ما نشاء في أيّة مسألة من مسائلنا الكبرى كما نشاء، ولناخذ حرّيتنا في القول بأقصى ما تستطيع الحرية أن تأخذه من أبعاد، لكن لنعلم قبل كلّ شيء، أننا لن نجني إلا على أنفسنا، إذا لم يكن في قولنا ما يؤثر في النفس ويحرّكها، ويردّ إليها الوعي الضائع منها ويمدّها بطاقة قوية تسمح لها بأن تخرج من مكمّنها الضيق ومحبسها المظلم إلى الأفق الواسع والمدى الرحيب. ولنعلم أيضاً، أن عدوّنا يتربّص بنا وبأقوالنا، فإن وجدها خالية من هذه المعاني، ولا مسؤولية فيها ولا قدرة لها ولا روح، فإنّه يفرح بها، ويصنع منها سلاحاً يشهره علينا. وهكذا فإن من سيأتي بعدنا من الأحفاد والأجيال، سيكون لهم من الحرية في الحكم على أقوالنا أكثر ممّا كان لنا، وبأساليب تختلف عن أساليبنا. فلنرحم نحن أنفسنا، قبل أن ندعو غيرنا إلى أن يرحمنا، ولنعرف ماهي المسؤولية في القول؟ وكيف نحملها ونحملها؟

وإنّنا وإن كنّا نعلم ما للوعظ والإرشاد من دور في التوعية والإيقاظ، فنحن نحبّ أن نلتفت التفاتة طويلة موجعة إلى العلماء والمفكّرين في هذه الأُمّة، ونحرّضهم على أن يأخذوا من موقعهم الذي هم فيه دورهم المسؤول بهذا المعنى الذي سقناه للمسؤولية؛ فنحن منذ عهد بعيد، عرفنا الوعظ والإرشاد، وجرّ بناه، ووجدنا أنّّه يعود بالقوة والفائدة والتأييد على الحكّام ورجال السلطة أكثر ممّا يعود على جماهير المسلمين، وذلك لأنّّه في أكثره يخلو من المسؤولية، والعلماء والمفكّرون هم المسؤولون عن تعبئته بالمسؤولية، وهم المسؤولون، على وجه الدقّة عن كلّ حركة وسكون في حياة الجماهير الإسلامية، ولا ضرورة في إعادة الحديث عن هذه المسألة والتوسيع فيها مرّة أخرى، إلا في خاطرة صغيرة لكن لها أهميتها الكبيرة. وهذه الخاطرة، هي أن يعود العلماء والمفكرون إلى أنفسهم لينقّوها ويفرغوها من الخوف كلّ الخوف عند معالجة معضلات الإسلام والمسلمين، وليعودوا شجعاناً، فلا يكتفوا بلمس الجراح لمساً خفيفاً، إشفافاً عليها من إثارة الآلام وتأزمها. ولماذا لا يكشفون عن وجوههم هذه الأقنعة المصنوعة من الملاينة والمجاملة، إذا لم أقل المراوغة؟ ولماذا يطلون كلامهم بطلاء من العسل تعقب حلاوته مرارة الخيبة؟

